في يوم الغدير أهمية الجعل والمجعول في تبليغ الرسول

مما تسالمت عليه الشيعة الإمامية (أعزهم الله) أن المناصب الإلهية كالنبوة والإمامة المُناط بهما هداية الناس، ليست خاضعة لاختيار الناس، وإنما هي مناصب مجعولة من قبل الله تعالى العالم المحيط بقابليات وكوامن وأسرار عباده، ويستدلون على ذلك بآيات من القرآن الكريم منها قوله تعالى في خطابه لخليله إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾.

والإمامة عندهم كالنبوة في كونها منصبا إلاهيا لابد أن تكون بالنص والجعل والتعيين الإلهي لا بالاختيار البشري، وبناءً على ذلك فلابد من الاستدلال على منصب الإمامة بنصوص قطعية من الكتاب الكريم والسنة النبوية الشريفة من أجل إثبات هذا المبنى.

وقد ورد في جعل الإمامة لأمير المؤمنين عليه السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم آيات وأحاديث كثيرة منذ بداية الدعوة الإسلامية، كان أهمها: ما نزل في يوم

الثامن عشر من ذي الحجة المسمى بيوم الغدير، فقد نزل فيه النص القرآني المهم والخطير، الذي كان فيه حثٌّ شديد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تبليغه وبيانه للناس، وهو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ۚ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾، وقد ورد في سبب نزول هذه الآية الكريمة عند الفريقين أنها نزلت في يوم الثامن عشر من ذي الحجة عند رجوع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع في مكان يقال له غدير خم، حيث نزل الوحي بهذه الآية التي سميت فيما بعد بآية الإبلاغ.

ولمعرفة أقوال العامة في ذلك يمكن مراجعة: (عمدة القاري في شرح صحيح البخاري ج٨ ص ٢٠٦، الدر المنثور السيوطي ج٢ ص٢٩٨، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٨ ص٤٨٤، وغيرها).

وتُظهِرُ أهمية هذا الجعل الإلهي (الآية)، أهميةُ هذا المجعول المراد تبليغه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإن هذه الأهمية تظهر بوضوح من خلال قوله تعالى: ﴿وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾، فإن الله تعالى جعل عدم تبليغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما نزل عليه

من أمر، هو بمثابة عدم تبليغ الرسالة الإسلامية كلها، وهذا يدل بوضوح على أهمية ما نزل، بحيث يكون عدم بيانه وتبليغه بهذه الصفة، فيا ترى ماذا أراد الله تعالى من نبيه الكريم وكيف بلغ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وماذا بلغ؟

نعم لقد ورد متواترا عند المسلمين أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ...﴾ جمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه في مكان يقال له غدير خم، وخطب فيهم خطبة طويلة قال فيها: «...أيها الناس من أولى الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، فقال إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا اولى بهم من أنفسهم، فمن كنت مولاه فعلي مولاه...»، فقد تواتر نقل هذا الحديث عند الفريقين وإن اختلف بعض العامة في بعض ألفاظه وما يراد منها إلا أن قوله «من كنت مولاه فعلي مولاه» مما تواتر نقله عند الجميع، ومع كونه متواترا فهو حجة قطعا.

وما ينبغي أن يذكر هنا أن هذا الحديث الشريف إنما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو امتثالا لآية البلاغ التي أمره الله بها، ومنه يعرف المراد من قوله تعالى ﴿مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ وأن المراد

بالموصول في الآية الكريمة هو إثبات الولاية لأمير المؤمنين عليه السلام على جميع المؤمنين بمستوى ولاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقرينة قوله «من كنت مولاه فعلي مولاه»، فيكون المراد حينئذ من الآية (بلغ ما أنزل إليك من ربك في فضل علي) كما رواها الفريقين في تفسير الآية عن الامام الباقر عليه السلام.

ثم أن هذا الحديث بعدما تقدم من تماميته على مستوى السند بسبب تواتره، كذلك هو تام من جهة دلالته على ولاية أمير المؤمنين لكونه محفوفاً بقرائن تدل على المراد منه سواء على مستوى القرائن اللفظية كقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أنا اولى بهم من أنفسهم» الدال على أن المراد هو الحديث عن الولاية، وليس المحبة أو غيرها، وكذلك قوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه» فالتفريع بالفاء يدل على أن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام فرع ولاية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وأما القرائن الحالية فهي واضحة كذلك، فإن كل عاقل عندما يتأمل في نزول الوحي وأمر الله تعالى بتبليغ شيء مهم يعد عدم تبليغه بمثابة عدم تبليغ الرسالة، فلابد أن يكون ذلك الأمر المراد في غاية الأهمية، ولا يوجد شيء اهم من تنصيب

إمام يخلف النبي صلى الله عليه وآله وسلم في قيادة الأمة والحفاظ على الرسالة الإسلامية ويكون حجة لله على خلقه، لأن الأرض لا تخلو من حجة لله في كل زمان.

ولذلك فإن يوم الثامن عشر من ذي الحجة يومٌ مهمٌ في تأريخ الاسلام، حيث سجل فيه التاريخ تنصيب خليفة على المسلمين، وأصبح عيدا من أهم أعياد الأمة الإسلامية بل وأفضلها وأشرفها كما ورد عن الامام الباقر عليه السلام عندما سأله المفضل بن عمر عن أعياد الاسلام، ولذا خُص هذا اليوم بأعمال كثيرة وعبادات بأجور مضاعفة وتهنئة الأخوة المؤمنين فيما بينهم، وفي الختام اسأل الله تعالى أن يوفقنا لأحياء ما ورد في هذا اليوم المبارك وأن يجعلنا من الثابتين والمتمسكين بولاية أمير المؤمنين وأبنائه المعصومين عليهم السلام، والحمد لله رب العالمين.

مؤسسة دار الحكمة للثقافة والعلوم الإسلامية
www.darhikma.net

مركز دار الحكمة للتنمية والدراسات الإسلامية
٤٥

في يوم الغدير
أهمية الجعل والمجعول في تبليغ الرسول

الشيخ سعيد الجبوري